

تفسير ابن كثير

وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ^ط ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ

وقوله : (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) ، يقول تعالى : وجاءت

- أيها الإنسان - سكرة الموت بالحق ، أي : كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمترى

فيه ، (ذلك ما كنت منه تحيد) أي : هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك ، فلا محيد

ولا مناص ، ولا فكاك ولا خلاص . وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله : (وجاءت

سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) ، فالصحيح أن المخاطب بذلك الإنسان من

حيث هو . وقيل : الكافر ، وقيل غير ذلك . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا إبراهيم بن

زياد - سبلان - أخبرنا عباد بن عباد عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبيه عن جده

علقمة بن وقاص أن عائشة رضي الله عنها ، قالت : حضرت أبي وهويموت ، وأنا

جالسة عند رأسه ، فأخذته غشية فتمثلت بيت من الشعر : من لا يزال دمه مقنعا فإنه لا

بد مرة مدقوقالت : فرفع رأسه فقال : يا بنية ، ليس كذلك ولكن كما قال تعالى : (

وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) . وحدثنا خلف بن هشام ; حدثنا

أبو شهاب [الخياط] ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن البهي قال : لما أن ثقل أبو بكر رضي الله عنه ، جاءت عائشة رضي الله عنها ، فتمثلت بهذا البيت : لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر فكشف عن وجهه وقال : ليس كذلك ، ولكن قولي : (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) وقد أوردت لهذا الأثر طرقا [كثيرة] في سيرة الصديق عند ذكر وفاته رضي الله عنه . وقد ثبت في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول : " سبحان الله ! إن للموت لسكرات " . وفي قوله : (ذلك ما كنت منه تحيد) قولان : أحدهما : أن " ما " هاهنا موصولة ، أي : الذي كنت منه تحيد - بمعنى : تبتعد وتأنى وتفر - قد حل بك ونزل بساحتك . والقول الثاني : أن " ما " نافية بمعنى : ذلك ما كنت تقدر على الفرار منه ولا الحيد عنه . وقد قال الطبراني في المعجم الكبير : حدثنا محمد بن علي الصائغ المكي ، حدثنا حفص بن عمر الحدي ، حدثنا معاذ بن محمد الهذلي ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، عن سمرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " مثل الذي يفر من الموت مثل الثعلب ، تطلبه الأرض بدين ، فجاء يسعى

حتى إذا أعبى وأسهر دخل جحره ، فقالت له الأرض : يا ثعلب ديني . فخرج وله حصاص

، فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ومات " .ومضمون هذا المثل : كما لا انفكك له

ولا محيد عن الأرض كذلك الإنسان لا محيد له عن الموت .